

بحوث التخرج.. طموحات وتحديات

د. غني ناصر حسين القرشي

جامعة بابل - كلية الآداب - قسم علم الاجتماع

يكلف طلبة المرحلة الرابعة من الدراسة الجامعية بإعداد بحث التخرج أو مشروع التخرج ذلك بوصفه جزء من متطلبات حصول الطالب على شهادة البكالوريوس أو الليسانس وفي الاختصاصات العلمية المختلفة، والهدف الأساس من هذا البحث أو المشروع يتلخص في خلق روح البحث العلمي عند طلبة الجامعات ليكونوا باحثين ناجحين في المستقبل بامتلاكهم مهارات البحث العلمي بدءاً من اختيار مشكلة البحث وانتهاءً بنتائجه وتوصياته.

ولأنّ بحث التخرج يعدّ مادة أساسية يتوقف عليها تخرج الطالب فقد أضحي موضع اهتمام الطلبة ويولونه كثير من وقتهم وجهدهم آملين أن يقدموا بحثاً أو مشاريع متميزة.

لكنّ الوصول إلى ذلك الهدف ليس أمراً سهلاً في كل حال من الأحوال، فقد يواجه الطلبة تحديات ومشكلات جسام تقف دون تحقيق طموحاتهم، ومن تلك التحديات والمشكلات ما يعود إلى الطلبة أنفسهم والبعض يعود إلى ظروف خارجية محيطة بالجامعات والكليات والمكتبات والمجتمع المحيط بصورة عامة.

ومن واقع تجربتنا في هذا المجال استطعنا أن نقف على مجموعة من الملاحظات التي قد تبدو شكلية أحياناً؛ لكنّها في غاية الأهمية في مساعدة الطلبة في إعدادهم لبحوث التخرج، ووجدنا من المفيد أن نضع تلك الملاحظات على النحو الآتي:

1- أول تحدي يواجه الطالب يتعلق باختيار موضوع بحثه أو عنوانه، فقد يميل كثير منهم إلى اختيار موضوعات لها وقع كبير عند سامعيها وتوحي بأنّ لها أهمية كبيرة، ظناً منهم أنّ مثل هذه الموضوعات حتى وإن لم يجيدوا بحثهم فيها فإنّ أهميتها تلك ستغطي على ذلك. وعلى العكس من هؤلاء الطلبة هناك من يختار موضوعات في غاية البساطة تصلح لأن تكون مقالات وليس بحثاً. وهنا لا بد من القول: أنّ البحوث لا تقاس أهميتها من موضوعاتها وإنّما من قدرة

الباحث في بحثها والتوصل إلى النتائج المرضية والمميزة، بمعنى آخر لا يوجد عنواناً أو موضوعاً جيداً أو غير جيد بقدر ما يوجد باحثاً جيداً أو غير جيد، فالباحث هو الذي يضيف على الموضوع أهميته من خلال بحثه والتوصل إلى النتائج المرجوة منه بأسلوب علمي مقبول.

2- تشتت فكر الطالب بين موضوعات عديدة بسبب آراء الأساتذة التي لا تخلو من التناقض بين مؤيد ومعارض للموضوع الذي وقع عليه اختياره، علماً أنّ كثير من الطلبة يختار موضوعات من خياله الشخصي دون التحري عن تلك الموضوعات ومراجعتها إن كانت متوافرة أم لا، وبعد فترة يجد نفسه عاجز عن وضع خطة بحثه بسبب نقص المراجع العلمية ويضطر بعضهم إلى تغيير الموضوع ويعود إلى المربع الأوّل مرة أخرى وهكذا، وفي ذلك هدر كبير للوقت والجهد. وهناك طلبة ليس باستطاعتهم اختيار موضوعات لبحوثهم ويعتمدون في هذا الأمر على الأستاذ المشرف أو الكادر التدريسي في القسم.

3- يعتمد بعض الطلبة إلى تقديم بحوث جاهزة يحصل عليها من بعض الخريجين القدامى أو من بعض الأصدقاء والأقارب مع إجراء بعض التعديلات عليها، وبعضهم يعتمد على البحوث الجاهزة المنشورة على شبكة الانترنت، ولعلّ من أخطر الظواهر في هذا المجال وجود بعض المكتبات أو محال الاستنساخ التي تقوم بإعداد البحوث وبيعها إلى المستفيدين من الطلبة، وهنا ينبغي على الأساتذة والأقسام العلمية رصد مثل هذه الظواهر وتوجيه الطلبة إلى ضرورة الابتعاد عنها والاستفادة من خبرات المشرفين وما متوافر من كتب ودوريات علمية تخص بحوثهم، والاعتماد على أنفسهم في كتابتها، حتى وإن كانت بأسلوب متواضع لأنّ الغاية النهائية من البحث في هذه المرحلة الدراسية هي أن يتعلم الطالب كيفية كتابة البحث على وفق الخطوات العلمية، وبما يتفق وأخلاقيات الباحث وأمانته العلمية. مع الأخذ بالنظر أنّ البحث العلمي بحاجة إلى قدرات بحثية وإحصائية ولغوية وثقافية وحاسوبية، وإنّ من المتوقع أن يواجه الطالب صعوبات في إعدادها، لاسيما أنّه لم يمر بتجارب كافية في أثناء دراسته النظرية في هذا اللون من النشاطات.

4- عدم التزام بعض الطلبة بتوجيهات الأساتذة المشرفين ويتذرعون بحجج كثيرة مثل: الانشغال بالاختبارات الشهرية، أو الظروف العائلية الصعبة، أو عدم تعاون مجموعة البحث إذا كان البحث مشتركاً وغيرها من الحجج التي تتعارض و تنفيذ خطة البحث في الوقت المحدد.

5- أن مرحلة اختيار المشكلة من المراحل الصعبة التي يمر بها الطالب المبتدئ، فتحديد مشكلة البحث واختيارها صعب ومعقد، وقد يقع الطالب في حيرة شديدة أثناء اختياره لمشكلة البحث فيجب ألا يتعجل في اختيار مشكلة بحثه حتى لا يتعرض بعد ذلك إلى تغييرها. ومن المسلم به أنه لا توجد هناك وسيلة بسيطة تساعد الطالب في اختيار مشكلته وصياغة فرضياتها، لأن الأمر يحتاج إلى مران وتدريب واحتكاك بالأساتذة المميزين من خلال كتاباتهم وأبحاثهم المنشورة، واستحضار التدريب الذي يفترض أن قام به الطالب أثناء الدراسة النظرية من خلال إعداد أوراق العمل الصفية والبحوث العلمية.

6- ضعف الطلبة في استخدام الأساليب الإحصائية والرياضية المناسبة من المشكلات الفنية الكبيرة التي يواجهها الطلبة في إعدادهم لبحوث تخرجهم، وقد تعزى هذه المشكلة إلى وجود ضعف في موضوع الرياضيات منذ أيام المدرسة الابتدائية، وقد تعزى أيضا إلى كتب الإحصاء المقررة- إن وجدت- فهي إما أن تكون قديمة أو صعبة الفهم أو أن بعض الأساتذة تنقصهم القدرة على توصيل المعلومة إلى الطلبة ما يشكل عائقاً أمام فهمهم للمادة العلمية ومن ثم عدم قدرتهم في الاستفادة منها عند كتابة بحث التخرج.

7- من المشكلات الفنية التي يواجهها الطلبة بصورة عامة جهل كثير منهم في استخدام المكتبة، والاقتراب من المراجع، وتوثيق البحث ودمج الأفكار المختلفة، والقدرة على الاستنتاج والتعليق على النتائج التي يتوصل إليها البحث، بل وحتى ترقيم عناصر البحث وتنظيمها.

8- ضيق الوقت يقف عائقاً في وجه أغلب الطلبة، فضغط (المحاضرات والاختبارات) تجعلهم لا يستطيعون توفير الوقت الكافي للبحث، فأغلب الطلبة يضطرون إلى عدم حضور بعض المحاضرات في سبيل إيجاد مراجع للبحث سواء في مكتبة القسم أو الكلية أو مكتبة الجامعة، وهذا الأمر مرتبط بمشكلة أخرى وهي أن الطلبة يواجهون صعوبات في مسألة استعارة الكتب، فهناك كتب ورسائل وأطراح ماجستير ودكتوراه يمكن استعارتها خارج المكتبة وبالطبع سيكلفهم الإطلاع عليها داخل المكتبة كثير من الوقت.

9- على الرغم من أن الجامعات تزخر بالأساتذة المرموقين إلا أننا نجد نوع آخر من الأساتذة المحسوبين على التعليم العالي، لا يتابعون طلبتهم لاسيما في خطوات البحث، ما يتبعه استهانة الطالب بالبحث وكل ذلك له انعكاساته الخطيرة على مستقبل الطالب بصورة خاصة والبحث العلمي بصورة عامة.

في ضوء ما تقدم من نتائج، نضع المقترحات الآتية التي يؤمل منها أن تسهم في تخفيف حجم المشكلات التي يواجهها الطلبة عند إعداد بحوث التخرج:

- 1- توفير خدمة مكتبية جيدة للطلاب من خلال إنشاء مكاتب جيدة يدوية.
- 2- ضرورة تأهيل الطلبة في استخدام الحاسوب والانترنت في البحث العلمي. وتزويد الكليات والأقسام العلمية بشبكاتها لتكون في متناول الطالب عند الحاجة إليها.
- 3- زيادة تأهيل الطالب في البحث العلمي من خلال ربط متطلبات المقرر الدراسية بنشاطات البحث العلمي المختلفة. بمعنى آخر ينبغي زج الطلبة في ورش بحثية وتكليفهم بإنجاز بحوث علمية أو أوراق عمل في جميع المواد الدراسية على أن تخصص لها جزء من درجة السعي السنوي.
- 4- لا يكفي أن يدرس الطالب الإحصاء النظري فقط فمن الضروري أن تعزز قدراته الإحصائية بتدريسه نماذج إحصائية بحثية تطبيقية.
- 5- لا يكفي أن يدرس الطالب طرائق البحث ومنهجه نظرياً بل ينبغي تقوية قدراته البحثية من خلال الاطلاع والتحليل لأبحاث من نوعية جيدة.
- 6- تكليف الطلبة ببحوث التخرج ينبغي أن يكون في منتصف السنة الثالثة وليس في بداية السنة الرابعة وذلك من شأنه أن يوفر الوقت المناسب للطلبة لإنجاز بحوثهم. بمعنى يكون الوقت المحدد للطلاب سنة ونصف بدلاً من سنة واحدة.
- 7- إلغاء فكرة البحوث المشتركة بين الطلبة وعدم اللجوء إليها إلا عند الضرورة القصوى فقد تبين أن كثير من الطلبة المنضوين تحت هذه البحوث لا يقومون بواجباتهم كما يجب؛ وهناك من ليس له علم بخطوات البحث العلمي وأساسياته، وربما حتى بموضوع البحث نفسه، فضلاً عن المشكلات التي قد تحصل بين الطلبة نتيجة لهذا الوضع.

8- ينبغي أن تكون مناقشة تلك البحوث بجدية وعدم التساهل فيها- مع إنصاف البحوث الجيدة - فإنَّ مستوى بعض المناقشات التي تجرى في أروقة الجامعات لهذه البحوث تعد مشجعة على استهانة بعض الطلبة فيها.

9- رصد مكافآت مادية ومعنوية للطلبة أصحاب البحوث المتميزة.

10- توثيق تلك البحوث ورفعها على مواقع الكليات الكترونية لتكون في متناول الطلبة اللاحقين عند الحاجة وعدم التفريط بها، أو إهمالها بعد حين أو حرقها كما تفعل بعض الأقسام العلمية، أو يتم تسريبها إلى الأسواق لتباع بوصفها بحوث جاهزة.

11- التصدي لظاهرة البحوث الجاهزة لأنها تشكل طعن في منهجية البحث العلمي ولها انعكاساتها السلبية على واقع البحث العلمي ليس في مرحلة الدراسة الأولية فحسب بل يمكنها أن تمتد إلى مرحلة الماجستير والدكتوراه إذا ما تم التسرير عليها.